١٨ الإمام حسن الأنور عميد آل البيت

كان عالماً من ثقات العلم، وكان إماماً من كبار أئمة المدينة، وكان عميداً لآل البيت فى زمانه، وكان إلى جانب هذا كله فاضلا فى إنسانيته شريفاً فى خصومته، ودوداً فى عشرته، وفياً لصداقته، صادقاً فى كلمته. ذلك هو الإمام «حسن الأنور ابن زيد الأبلج» الذى ينتهى نسبه إلى الإمام الحسن ابن الإمام على والسيدة فاطمة الزهراء رضى الله عنهم.

نشأ حسن الأنور فى رحاب ما تركه جده الأعظم محمد ﷺ من قيم ومبادئ وعقائد.. يتلو القرآن الكريم ويتدبره، ويسترجع الحديث الشريف ويتأمله، ويقف على ما تركه السلف الصالح من صحابة رسول الله ويتدارسه، ويكثر من العبادة صياماً وقياماً طوال النهار، وأطرافاً من الليل.. هذا إلى جانب زهد وورع، تقوى، وصلاح، سماحة، وتواضع.. حتى إذا صقلته تجارب وقراءات الحياة.. صار إماماً يتطاير اسمه بين أرجاء الأمة الإسلامية.. إماماً يحمل من الألقاب السامية، ما لم يتحقق لواحد من الأئمة قبله.. فهو شيخ الشيوخ، وشيخ بنى هاشم، وعميد آل البيت فى زمانه، والتابع العالم، والعابد الحكيم. وشيخ المدينة.

وهكذا كان الإمام حسن الأنور قطباً وإماماً يقصده المسلمون من كل حدب وصوب، ومعلماً وأستاذاً، يتلقى عنه التلاميذ والمريدون العلمَ والفضل، ومرجعاً ومصدراً لما يغيب عن ذاكرة الحاضرين من هدى ونهج.

وقد كان من بين تلاميذه ومريديه ابنته نفيسة العلم والمعرفة رضى الله عنها، ومحمد بن إسحاق راوى السيرة النبوية، التى كتبها بعد ذلك ابن هشام، لتكون

المرجع الأول الذى يستند إليه كل باحث فى سيرة النبى وأصحابه على مر العصور.

وُلد هذا الرجل الصالح سنة ثلاث وثمانين للهجرة فى عنفوان عصر الأمويين، الذين كانوا يتعقبون أبناء آل البيت، ويتسمعون عنهم ما يريدون هم أن يقولوه، وإنْ لم يكن قد قالوه بالفعل، حتى يتصيدوا لهم الأخطاء. كما أدرك عن قرب فترة الود والصفاء التى قامت بين العلويين والعباسيين.. أيام كان البيتان متَّحدَيْن فى مواجهة خصم مشترك يتمثل فى الأمويين الذين خُيِّل إليهم أنهم بالجاه والسلطان يملكون الأرض ومَنْ عليها. ولكنه أدرك كذلك تنكر أبناء العم من العباسيين بعد أن سلس لهم قياد الخلافة وأصبحوا يديرون أمور الدولة الإسلامية بدلا من الأمويين الذين صاروا ضعافاً، فلا حاجة لبنى العباس إلى أبناء عمومتهم من آل البيت لمواجهة خصم ضعيف، بل إن الحليف يتحول مع الأيام إلى خصم.

كما شاهد عن قرب أن العلويين لمن ينسوا حقهم فى الخلافة بعد مأساة كربلاء، بل كانت الخلافة شغلهم الشاغل، يطلبون حقهم فيها بكل وسيلة، ومن كل قائم عليها ـ أموياً كان أم عبّاسيّاً ـ لدرجة أنهم إذا ماوجدوا الفرصة سانحة لإعمال القوة وتجريد السيف اغتنموها، ولم يَدَعُوها تمر. وإذا أنسوا من أنفسهم ضعفاً استكانوا مكتفين بلقب الإمام، أو انتمائهم إلى بيت رسول الله ﷺ، مفضلين الحياة الهادئة والانصراف إلى العبادة والاعتكاف، على الاشتغال بالحرب والسياسه.

وعلى الرغم من أن الإمام حسن الأنور ينتسب إلى العلويين ـ وهو منهم ـ فإنه يرتبط بصلة مصاهرة مع العباسيين، حيث كانت ابنته السيدة أم كلثوم متزوجة من مؤسس الدولة العباسية «أبى العباس السفاح». ولذلك اضطرته هذه المصاهرة على أن يكون غير بقية آل البيت، حيث كان أول مَنْ لبس العمامة السوداء شعار العباسيين من آل البيت، وأنه كان يتعاون مع العباسيين، حيث تولى إمارة المدينة المنورة، وعمره وقتئذ سبعة وستون عاماً من قِبلَ الخليفة العباس أبى جعفر المنصور، وبقى فيها على ولايته ستَّ سنوات كاملة.

غير أن كل ذلك لم يشفع له عند الخليفة أبى جعفر المنصور نفسه عندما اقتضى الأمر أن يسجنه، وقد فعل بعد أن أقصاه عن الولاية، وصادر كل أملاكه،

ولم يتذكر أنه قد تعاون معهم، وأنه صِهْرُ مؤسس دولتهم، أو أنه قبل ذلك وبعده من أبناء عمومتهم.. كل ذلك لا يفيد إذا كان الأمر متعلقاً ببريق المناصب ومكاسب السلطة.. ولا يهم أن يُلْقَى القريبُ والصهر والحليف فى غياهب السجون إذا كان ضد المصلحة الخاصة.. فالعباسيون وقد استوت لهم الأمور، ودانت لهم الدنيا، وحققوا من متاعها الشىء الكثير، كانوا يتوجسون خيفة من آل البيت من العلويين. ويرصدون عليهم العيون فى كل مكان وزمان، حتى ولو كان إنساناً فاضلا كالإمام حسن الأنور، لإحساسهم بأنهم حصلوا على حق ليس لهم. وذلك باغتصابهم الخلافة من مستحقيها من ناحية، ولإيمان العلويين بحقهم من ناحية أخرى.

ونتيجة لهذا يظل الإمام حسن الأنور سجيناً فى عصر العباسيين حتى يتولى الخلافة المهدى. فيقدِّر فى هذا الإمام علمه وفضله ومكانته بين آل البيت الذين كانوا يعتبرونه عميدهم، فيأمر بإطلاق سراحه، ويرد إليه ما أُخِذَ منه وصودر.

ولعل الخليفة المهدى ـ وهو من العباسيين ـ كان يحقق من وراء ذلك هدفاً سياسياً، خلاصته أنه يريد مهادنة آل البيت فترة من الزمن!

وبعيداً عن السياسة ومتطلباتها تستوقفنا من تاريخ هذا الإمام اجتهاداته العلمية والفقهية، ومنها: إجازته للحجامة فى الصيام، وإجازته للطيب قبل الإحرام، وإقراره أن المزاحمة والسرعة فى الحج تضر الإيمان أكثر مما تنفعه.

ولعل هذه السطور فى ختامها تسجل أن للإمام حسن الأنور مكانة خاصة فى مصر، فإلى جانب علمه وفضله الذى رجع إليه واستفاد منه العلماء المصريون، فهو والد السيدة نفيسة، التى يعرفها المصريون بأنها نفيسة العلم والمعرفة. وتزداد هذه المكانة تقديراً من المصريين إذا علموا أن الإمام حسن الأمور كان بالنسبة لابنته السيدة نفيسه المعلم والإمام. قبل أن يكون الأب.

أما كيف وصل إلى مصر ونزل بها دون غيرها من الأمصار والبلدان الإسلامية فهناك العديد من أبحاث الأقدمين والمحدثين تؤكد بصورة أو بأخرى أنه وفَدَ إلى مصر واستقر بها، كما استقرت بها ابنته السيدة نفيسه، وأنه ظل بها حتى توفى ودفن فيها عن عمر يناهز الخامسة والثمانين عاماً.

* * *